على أثر.. نفيسه :

هل أقامك الفكر بين العجز والتعب!...، لأنها:

تصفـو الحيـاة لغـافل أو جـاهل ... عمـا مضـى منهـا ومـا يتوقـع

ولمـن يغـالط في الحقـائق نفسـه ... ويسـومها طلـب المحـال فتطمـع

أو أنك عرفت أن:

أفاضل النـاس أغـراض لـدى الزمـن ... يخلـو مـن الهـم أخلاهـم مـن الفطـن

فتيقنت بأن:

مـا كـل مـا يتمنـى المـرء يدركـه ... تجـري الريـاح بمـا لا تشـتهي السـفن

هذا مع أنه - كما تعلم -:

لا يُـدرك المجـد إلا سـيّدٌ فطـنٌ ... لمـا يشـقُّ علـى السـادات فعّـال[1]

إذ..

لـولا المشـقة سـاد النـاس كلهـم ... الجـود يفقـر، والإقـدام قتـال

أو خوفاً من :

تريديـن[2] **إدراك المعالـي رخيصـة ... ولا بد دون الشهد من إبر النحل..،**

أم ترى.. أن/

لا مجـد في الدنيـا لمـن قـلّ مالـه ... ولا مـال في الدنيـا لمـن قـلّ مجـده

واقتنعت بما آلت إليه،.. بعدما:

---

[1] قال بعض البلغاء: (أحسن المكارم: عفو المقتدر، وجود المفتقر).

[2] مخاطباً "مهجته".

لبست صروف الدهر أخشن ملبس فعرّقني نابـاً ومزّقـني ظفـرا

ثم..:

أعطى الزمان فما قبلت عطاءه وأراد لـي.. فـأردت أن أتخـيرا

لأنك ترى:

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع

هكذا..

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فـ:

.. .. بلغت من العليا كل مكان

وبهذا:

كل ما لم يكن من الصعب في الأنفس سهل فيها إذا هو كانا

لأن:

ما الخوف إلا ما تخوّفه الفتى وما الأمنُ إلا ما رآه أمانا

و.. بدون ذلك، - تعزيةً -..

ومن تفكّر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

أو قد يكون:

.. .. إذا عظم المطلوب قل المساعد

فهل بقي شيء ..؟ ، نعم، هذا الاعتراف "الأخير"[1]:

---

[1] .. وحُقّ للمُتلقي .. لهذا الاعتراف.. - الآتي بعد فوات أوانه - أن يستشهد دون.. أن يعنيك- بقول أحمد شوقي:

-...

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي: المجد للسيف،..ليس المجد للقلم

....،

هذا شاعرنا "العربي" الذي/ خطا فوهة الفُلاة بل دليل، وسار بين الهجير بلا لثام، بعزم تسهل بقوّته المصاعب[1]:

قد هوّن الصبر عندي كلّ نازلةٍ وليّن العزم حدّ المركب الخشن

فـ.. لا عجب أن أُعجب به، وأمضي إثر نبراس نظمه بشغفٍ..

- رياضُ الشعر.. لا تُعطيك زهراً إذا لم تُسقْ من نهر الشعورِ!! -

..قد لا أجيد كل ما يُخالجني.. حينما أترنّم بإحدى قصائده[2].

وبزعمي.. أُصرّح بـ: لم يبقَ لي مجال للتعبير عن ذاتي إلا وجهر به عني[3].. حتى كِدتُ أن أقول - والأسف مقدّم - أنه لم يسبقني إلى هذا (العالم)[4] بذاته، بل وبشعره[5]...، فـ.." أ:

-...

وما ضقنا بمقدمك المفدى ولكن.. جئت في الزمن.. الأخير..

[1] وكذا قوله:

أُطاعن خيلاً.. من فوارسها الدهر وحيداً، وما قولي كذا ومعي الصبر

[2] و..أكاد - حينها - أن أستشهد بقول ابن عبد الله عن شعر "الأعشى":

(يخيل لك إذا أنشدته.. أن آخر يُنشد معك!)

[3] قال الشاعر علي الجارم:

تقرأ للمتنبي فتحسُّ أنه يُخاطب كل نفس بأسرارها، وكثيراً ما حدّثنا عن خلجات كُنا نحس بها ونسمع في النفس دبيبها.

[4] - فـ..

يا صاحب القبر.. السلام على من حال دون لقائه القبر

-...

يـا شـــاعراً هـــزّ الفـــؤاد بنبضـــه فتحرّكـــت في داخلـــي الأوتـــار"

فليعذرني القارئ العزيز على هذا الإطراء...

بحق من اختارهُ شعره بكينونتي لتكون هذه "النبذة" حاملة عـن مخيّلـتي[1] خواطر استنتجتها ونسجتها من سيرته..

ولتعكس - بالمضمون - لمتصفحها / آخر أحلام المتنبي.. (الإمارة):

يقولـون مـا أنـت في كـــل بلـــدة وما تبتغي؟ .. ما أبغي جلّ أن يُسمّى

الذي سعى لعل وعسى بتحقيقـه يصـل إلى (المجـد) الـذي تغـرّب وقطـع الفيافي والقفار لينالـه، فكدّ خلف الدنيا حتى قتلته[2].. دون بلوغ مأربه.

...ولسان حاله.. يتمثّل بالحكمة التي أنشأها[3]:

-...

كما قال أبو زبيد المنذر بن حرملة.. في الوليد بن عقبة وقد أسلم على يديه -خزانة الأدب، ص١٥٥/٢ -

(٥) قال امرؤ القيس:

أجارتنـــا: إنّـــا غريبـــان هاهنـــا وكـــل غريـــب للغريـــب نسـيبْ

(١) قال أحمد شوقي - يرثي نده (حافظ إبراهيم):

رُتـب الشـجاعة، في الرّجـال جلالـةٌ وأجلُّهُـــــن شـــــجاعةُ الآراءِ

(٢) -.. روى قتادة قال: لقيني عمران بن حطان فقال يا أعمى احفظ عني هذه الأبيات:

حتـى متـى تُسـقى النفـوس بكأسـها ريـب المنـون..، وأنـت لاهٍ ترتـع
أفقـد رضيـت بـأن تُعلـل بـالمنى وإلى المنيـة كـل يـوم تُدفـع
أحـلام نـوم أم كظـل زائـل إن اللبيـب بمثلهـا لا يُخـدع

(٣) آخذاً المعنى، من التوجيه الكريم: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى) - أي ليكن المؤمن مشرئباً دائماً إلى السمو.. والعُلى.

-...

إذا غـــامرت في شـــرف مـــروم فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم

فطعـــم المـــوت في أمـــرٍ حقـــير كطعـــم المـوت فـــي أمـــرٍ عظيـــم

فمعذرة إلى الله[1] أولاً، ثم إلى القارئ الكريم/ إن لم يجد المرمى أنيس، والمرام الذي أصبو إلى إيصاله نفيس[2].

..وشافعي قول عمر أبو ريشة رحمه الله:

فمـــا نحـــن أوّل مـــن بنـــى وبنـــــــاءه لم يكمـــــــلِ !

- والله أعلم.. وأحكم، وصلى الله على خاتم رسله.. وسلم -

دمشق

٨/٧/١٤١٦هـ

-...

والمشهور قول عمر بن عبد العزيز - حين سئل عن تقشفه وهو الخليفة -:

إن لي نفساً توّاقة، تـاقت إلى الإمـارة، فلمـا نالتهـا تـاقت إلى الخلافـة..، وهـي تتـوق إلى الجنة.. فلنعمل لها.

[1] ..الاعتذار من الله: نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ قال عن الذين خـالفوا أمـره يوم "أحد" (اللّهُمّ: أعتذر إليك مما صنع هؤلاء).. متفق عليه.

وفي الكتاب العظيم قول الحق سبحانه ﴿معذرة إلى ربكم..﴾ سورة الأعراف، آية١٦٤.

ويأتي بعد.. ذاك، من هنات علّها من النقص البشري الذي لا ينفكّ عن قيده.. سوى من عصم الله، راجياً أن لا يحول ذلك عن قبول المُجمل، قال أمير الشعراء:

رُزقـت أسمـح مـا في النـاس مـن خُلـق إذا رُزقـت التمـاس العـذر في الشّـيم

[2] قال "لاروشفو كولد":

نحن لا نجد أبداً أناساً عاقلين، إلا أولئك الذين يشاطروننا الرأي!

ولا أعثر - بعدها - على من يقول: أتخمتنا بشاعرك،.. إذ هو/ شاعر الدنيا، وشاغل أهلها!!

طلائع المراجع

أو/ منها: "شرح ديوان المتنبي" لأبي العلاء المعري، طبعة دار المعارف سنة ١٩٩٢م، "التبيان شرح الديوان" لأبي البقاء العكبري (مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٧١م، - انظر: إيضاح ما تقدم ص١٨ حاشية هامش (١) -، "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب" للشيخ ناصيف اليازجي (طبعة دار نظير عبود سنة ١٩٩٥م)، "ديوان المتنبي" عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت طبعة ١٩٨٦م، "ديوان أبي الطيب المتنبي" لأبي الفتح عثمان بن جني (بغداد ١٩٨٨م)، و"شرح مشكل أبيات المتنبي" (سنة ٤٥٨هـ) لابن سيده، و"الواضح في مشكلات شعر المتنبي" لأبي القاسم الأصفهاني، و"يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" (سنة ٤٢٩هـ) للثعالبي، و"الوساطة بين المتنبي وخصومه" (سنة ٣٦٦هـ) للقاضي الجرجاني، و"الرسالة الموضحة" (سنة ٣٨٨هـ) للحاتمي، و"الكشف عن مساوئ المتنبي" (سنة ٣٨٥هـ) للصاحب بن عباد، و"الإبانة عن سرقات المتنبي" (سنة ٣٥٤هـ) للعميدي، و"الصبح المنبي عن حيثية المتنبي" (سنة ١٠٧٢هـ) للبديعي.

..فضلاً عن آتٍ كـ: "المتنبي" محمد محمود شاكر، و"أبو الطيب المتنبي" للمستشرق (بلاشير)، و"المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس"، لمحمد

التونجي، و"مع المتنبي" للدكتور طه حسين، و"نظرة إجمالية في حياة المتنبي" لمعروف الرصافي، و"المتنبي بين ناقديه" لمحمد شعيب، و"فن المتنبي بعد ألف عام" لإبراهيم العريض، و"المتنبي يسترد أباه" لمحمد الملاح.. "ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام"عبد الوهاب عزام، عبد الله الحيدري "أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين"، سهيل عثمان ومنير كنعان "المحصول الفكري للمتنبي"، محمد كمال حلمي "أبو الطيب المتنبي"، زكي المحاسني "المتنبي"، "جواهر المتنبي" لعبد الله عمر خياط، نورية الشملان "المتنبي الإنسان والشاعر"، عبد العزيز عبد المحسن التويجري "المتنبي".. وغيرها..